

دلائل الإعجاز

ذلك قولُ ابنِ أبي عُبَيْدِنَةَ - الكامل - :

(فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ... أَطَانِينَ أَجْنَحَةَ الذُّبَابِ يَضِيرُ)

جعلَهُ كأنَّه قد طَنَّ أنَّ طنينَ أجنحةِ الذبابِ بمثابةِ ما يضيرُ حتى طَنَّ أن
وعيدَه يضيرُ .

واعلم أنَّ حالَ المفعولِ فيما ذكرنا كحالِ الفاعلِ أعني تقديمَ إسمِ المفعولِ
يَقْتَضِي أن يكونَ الإنكارُ في طريقِ الإحالةِ والمنعِ من أن يكونَ بمثابةِ أن يُوقَعَ به
مثلُ ذلكِ الفعلِ . فإذا قلتَ : أزيداً تضربُ كنتَ قد أنكرتَ أن يكونَ زيدُ بمثابةِ أن
يُضْرَبَ أو بموضعٍ أن يُجْتَرَأَ عليه ويُسْتَجَارَ ذلكَ فيه ومن أجلِ ذلكَ قد سمَّ " غير " في
قوله تعالى : (قُلْ أَغْيِرَ اللَّاهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) وقوله عزَّ وجلَّ : (قُلْ
أَرَأَيْتُمْ كُفْرُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّاهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغْيِرَ
اللَّاهُ تَدْعُونَ) وكان له من الحُسْنِ والمزِيَّةِ والفخامةِ ما علمُ أنه لا يكونُ لو
أُخِرَ ف قيلَ : قل أَتَّخِذُ غَيْرَ ا ولياً وأتدعون غيرَ ا وذلكَ لأنه حصلَ بالتقديمِ معنى
قولك أَيْكونَ غيرَ ا بمثابةِ أن يتخذَ ولياً وأَيْرضى عاقلُ من نفسه أن يفعلَ ذلكَ وأَيْكونُ
جهلُ أَجهلَ وعمى أعمى من ذلكَ ولا يكونُ شيءٌ من ذلكَ إذا قيلَ : أَتَّخِذُ غَيْرَ ا
ولياً وذلكَ لأنَّه حينئذٍ يتناولُ الفعلَ أن يكونَ فقط ولا يزيدُ على ذلكَ فاعرفه .
وكذلكَ الحكمُ في قوله تعالى : (فَتَعَالَوْا أَبَشِّرْهُ مِنْ ذَلا وَاحِدًا
نَتَّبِعُكُمْ) . وذلكَ لأنَّهم بَنَدُوا كفرَهُم على أنَّ مَنْ كانَ مثلَهُم بشراً لم يكنْ
بمثابةِ أن يُتَّبَعَ ويُطَاعَ ويُنْذَرُ هُيَ إِلَى ما يأمرُ ويُصدِّقُ أنه مبعوثٌ من ا
تعالى وأنهم مأمورون بطاعتهِ كما جاء في الأخرى : (إِنْ أَزْنَيْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا) وكقوله عزَّ وجلَّ : (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ)